أسماء في المشفى

منذ أن دخلت أسماء المشفى وهي في أزمة مع الأطباء المستجدين، والممرضات.. صرخت في وجه طبيب كان يسرق من مخصصات المرضى من علب حليب المجفف، والأدوية الأجنبية، لأن راتبه لا يكفيه:

-شهادتك لا أعترف بها، شهادة مزورة، سارقها سرقة!

الطبيب متزوج امرأة ألمانية من ألمانيا الشرقية حيث كان يدرس، وطلب للخدمة الإجبارية فعمل في المشفى الذي كان للفلسطينيين قبل خروجهم من بيروت، وما كان راتبه يكفيه، فأرادت زوجته أن يطلقها فتذهب الى بلدها، فأشفق عليه المدير الإداري وقال له:

-كان يجب أن تخبرني بأمرك أفضل من أن تسرق.. كنت أجد لك عملا إضافيا فتدبر أمرك.

استدعى المدير الإداري أسماء ولامها فلم ترد عليه وأرسل لها إنذارا بتحسين سلوكها. فذهبت الى رئيس المشفى وكان من الطاقم القديم ومعروف بكفاءته ونزاهته، وشكته:

- أنا يرسل لي انذار بتحسين سلوكي!..ليعلم الجميع أنه ليس لي رؤساء.. رئيسي ضميري..أنا لا أستطيع أن أرى اللصوصية حولي والسفالة فأصمت.. ينصحني حضرته أن أنظر الى ما يجري وأبقى جانبا! كيف يمكن هذا ؟ عمل أشترك به وأكون مسؤولة عنه..الأدوية المستوردة تسرق، ويزرق المصاب بدلها أبرا غير فعالة، كيف لو حدثت كارثة ووقع ضحايا، كيف يمكن أن أبرر نفسي وأنا أعرف السبب. هذه النصائح أن أقف جانبا لا يمكن لي أن آخذ بها! يقول لي:

-ماذا تفعلين أمام طوفان من الفساد؟ كل المؤسسات أصبحت مبتلاة به.

-أستقيل!

-لا أريدك أن تستقيلي.. أصبحت ظاهرة خطيرة أن الأطباء المستقيمين يستقيلون، وأن المفسدين هم الذين يبقون.. لايجب أن تتزحزحي من مكانك.. نحن بحاجة الى إنقاذ الحياة البشرية البريئة التي تصاب حتى وهي في الملاجئ..

-هل أستحق الإنذار لأنني أدافع عن الحياة البشرية الغالية مـن أن يهـدرها اللصوص وفاقدو الضمير؟

-ماذا قلت له؟

-ما يستحقه، أنت تملك حمل أمانة وشرف مهنتك؟ أنـت قـادر أن تـضحي براحتك لتنقذ ملهوفا اذا بدأت حياتك هكذا لا تؤتمن على علبة دواء؟

تنهد المدير الإداري وهو يسرلصديقه بمتاعبه:

-لو ضربتني بحذائها فإن علي أن أسكت.. أولا لأنني أعلم أنها علـى حـق، وثانيا لأن والدها له فضل علي.. حياة أولادي بين يديه، لا أثق بأحد سواه.. عنـدما يسرع الي ولو في منتصف الليل وأنا في هم مقيم ويطمئن بالي تساوي عندي الـدنيا بأسرها.. صداقة الطبيب لا تعوض.. ومع ذلك خربت لي المستشفى .. توتر فيه الجو وأصبح الإستمرار في العمل مستحيلا.. أنا أحلّ الأمور بحكمة ، أستقصي المـشكلة وأحاول جهدي أن أسويها بطرقي الخاصة.. أما هي فإنها حين تـرى عيبـا يطيـر عقلها.. مشكلتها أنها عصبية وحين تغضب.. أعوذ بالله!

-يجب أن تطيل بالك عليها.. لا تزال جديدة في ممارسة الحياة، غدا تتعلم.

-قلت لها غدا تخففين من حماسك.. أتعرف بماذا أجابتني؟

-ماذا قالت؟

-تستروا على اللصوص حتى أرى النهاية.. في رأيي أن المتستر على اللص شريك له! ومحاباته يجعله يقوم بما هو أخطر..

لم أعد أتحمل مناقشتها أكثر.. كانت تتهمني أنا الآخر.. عاملتها دائمـا كـأب وليس كرئيس.. ولكن لكل انسان مدى من الإحتمال لا يمكن تجاوزه.. في رأيـي أن مثل هذه الحماقة، من وجهة نظر العمل، أسوأ من اللصوصية.. لأنها تبتر العلاقـات الإنسانية وتشلّ العمل كليا.. في المشفى ثماني ممرضات يعملن معها، وهـي دائمـا على على خصام مع سبع منهن وتحادث الثامنة، وحين تخاصمها تختار بديلة عنهـا واحة من السبع فتصالحها وتبقى على خصامها للباقي.

-ليس لك الاّ أن تصبر.. التجربة تعلم الإنسان أكثر من أية نـصيحة.. هـذا النوع من الشخصيات لا يمكن أن يؤخذ بالعنف أبدا.

-هي التي تصطدم بالزوايا الحادة .. أيجب أن تقول لهذا أنت لص، وللآخـر أنت منافق، ولغيره أنت لا تفهم في الطب، ولسواه سارق شهادتك؟

-في الواقع أصبح كل الناس مرهفي الحساسية في وقتنا الحاضر.. لا يحتملون أن يطلق عليهم أحد أسماءهم الحقيقية .. ولكن المسكينة هي التي ستدفع الثمن.. ليس دائما توفق الى مستشفى يكون فيه رئيسها صديقا لوالدها.. الحياة قاسية على أمثالها..

-دكتور، أنا دائما أدعو لها أن تتزوج ويرزقها الله بولد يـشغلها قلـيلا عـن الإهتمام البالغ بمصلحة المرضى، ولكنني أقول لنفسي حتى يحدث هذا فان علـي أن أحبل وألد كل يوم مشكلة معها!..

* * *